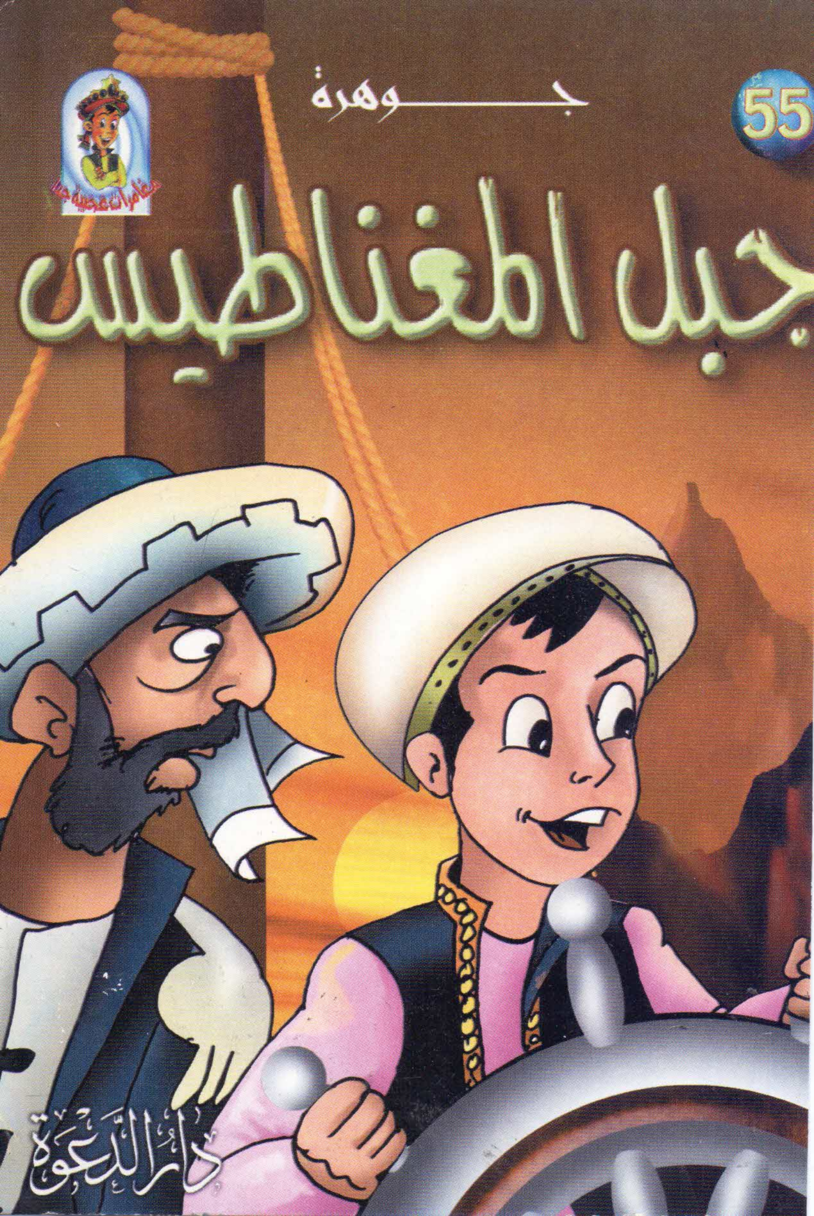

55
جوهرة
جبل المغناطيس
دار الدعوة



- سلسلة [illegible] بالإثارة والتشويق.
- أغرب الرح[illegible] المغامرات.
- تجمع بين [illegible] والمعرفة.
- لا [illegible] عنها في الرحلات [illegible] والمواصلات

جوهرة
جبل المغناطيس

جبل عجيب.. خطير.. جبل من حديد المغناطيس.

- نعم.. كله عبارة عن مغناطيس عملاق.. قوة جذبه عنيفة وقاسية.. ومؤسفة يا مؤمن.

- كيف ذلك؟

- إذا مرت به سفينة عن بعد فقل عليها يا رحمن يا رحيم........!!!

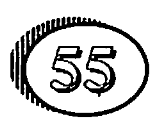
دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ (٠٣)

سلسلة

مغامرات مؤمن

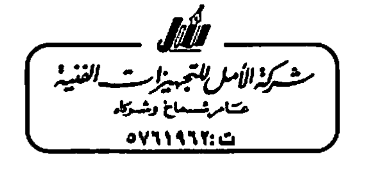


جوهرة

جبل المغناطيس

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

رقم الإيداع ٣٨١٧ / ٢٠٠٢



دار الدعوة

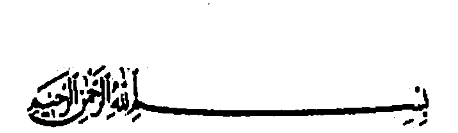
للطبع والنشر والتوزيع ٢ ش منشا - محرم بك ت: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

جوهـــــرة

جبـــل المغنـاطيـــس

علاء الدين طعيمة

الإشراف العام: أحمد خالد شكري
رسوم: عبدالرحمن بكر


بسم الله الرحمن الرحيم

□ لم تكن عبارة جبل المغناطيس مكتوبة على التاج الذى يحدد لمؤمن وجهة مغامراته ولكن هى كلمات سمعها فأثارت لديه شعوراً غامضًا ودفعته لفضه.

كان ذلك فى مغامرة من مغامراته المثيرة عندما سمع أحد الصيادين وهو يكلم زميلاً له عن جبل المغناطيس وأنه تسبب فى تحطيم كثير من السفن.

ولأن مؤمن كان متعجلاً فلم يتمكن من إشباع فضوله والسؤال عن سر هذا الجبل العجيب.

وظلت هذه الكلمات تدور فى رأسه مع رغبة عارمة تحولت إلى أمنية بأن يصل يومًا ما إلى جبل المغناطيس ويقف عليه ويعرف سره العجيب.

وتدور الأيام والليالى وتفـوت مغامـرة وتأتى أخرى وبعد سنوات يعـود جبل المغناطيس ليطفـو على السطح مرة أخرى.

حدث ذلك أيضًا أثناء عودته من مـغامرة فى المحيط الكبير عندما كان جالسًا مع اثنين من البحارة يتسامرون:

- أتذكر يا أخى سفينة القبطان بسيونى؟

- يا إلهى.. اللهم احـفظنا يارب.. لقـد تحطمت عند جبل المغناطيس.

وإلى هنا لم يُفَـوت مؤمن الفـرصة ولم يدع الحـيرة تنمو أكثر من الحد الذى وصلت إليه فقال:

- قل لى يا أخى بـالله عليك.. مـا هى حكـاية جـبل المغناطيس؟

اعتدل البحار وأخذ يتكلم بحدقتين وسعهما الخوف:

- يا إلهى.. هل ذهبت فى كل هذه المغـامرات دون أن تعرف حكاية جبل المغناطيس؟

- فى الحقيقـة.. فى الحقيقة أنى سمـعت كلامًا عنه.. ولم أتمكن من معرفة الأمر جـملة وتفصيلاً.. فماذا لديك؟

همس الرجل بجواره كأن الجبل يسمعه:

- إنه جـبل عـجـيب.. خطـيـر.. جـبل من حـديد المغناطيس.

- حديد المغناطيس!

- نعم.. كله عبارة عن مغناطيس عملاق.. ألا تعرف المغناطيس؟

- أعرفه أعرفه.. هو الذى يلتقط المسامير وبرادة الحديد ويجذبها إليه.

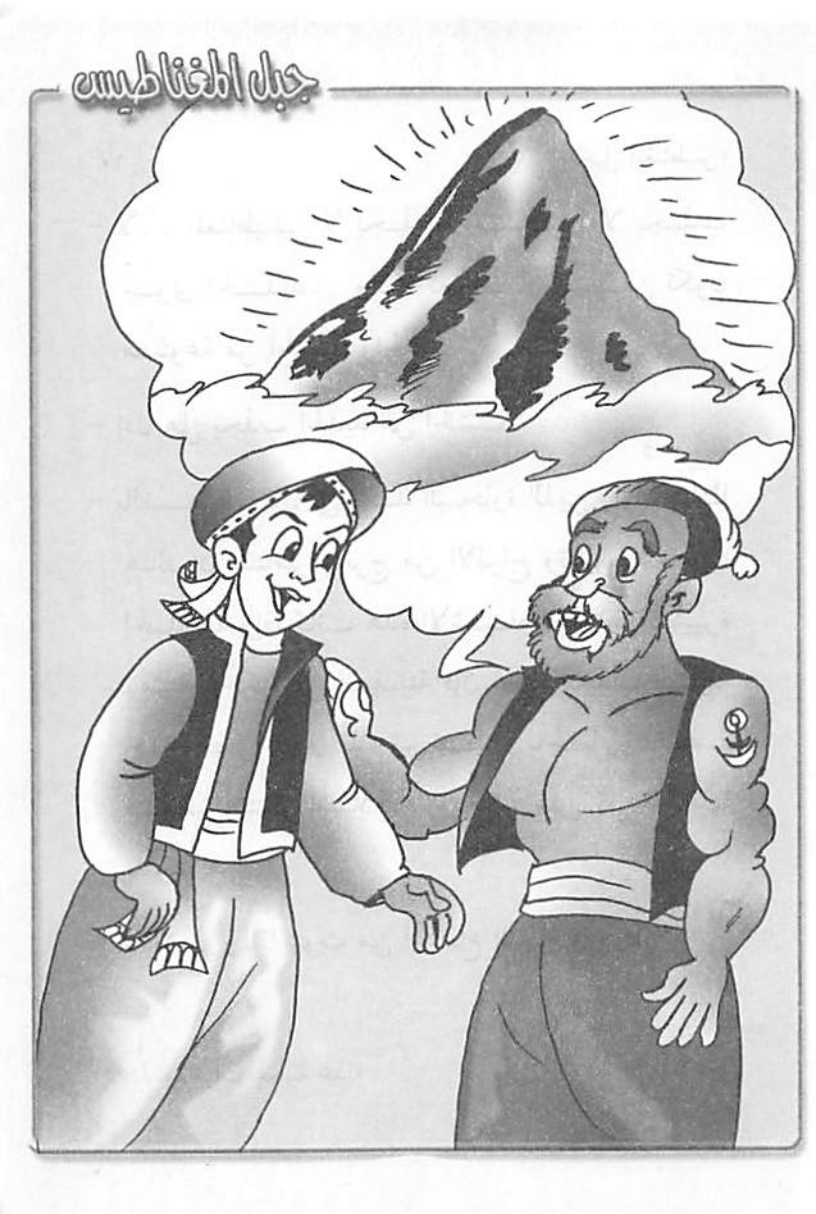
- كذلك الجبل.. نعم.. لكن قوة جذبه عنيفة وقاسية.. ومؤسفة يا مؤمن.

- كيف ذلك؟

- إذا مرت به سفينة عن بعد فقل عليها يا رحمن يا رحيم

تحرق مؤمن لمعرفة التفاصيل من رجل ضنين يقطر المعلومات تقطيراً.. فاعتدل وتربع فى جلسته وشبك ذراعيه على صدره ومد رأسه نحوه وبحلق بعينيه وقال:

- ها.. ماذا يحدث بالضبط؟ هل.. هل يجذب السفينة وهى من الخشب؟



- لا.. المغناطيس لا يجذب الخشب.. لا يجذب سوى الحديد.. وأنت تعرف أن السفن تكون مصنوعة من الخشب والحديد.

- إذن هل يجذب الحديد من الخشب؟

- بالضبط.. قال لى أحد البحارة الذين رأوا حادثًا هناك إن المسامير تخرج من الألواح وتطير الدعامات الحديدية وإذا كانت هذه الأشياء الحديدية كثيرة ومثبتة بإحكام فى السفينة فإن الجبل يجذب السفينة حتى تطير فوق الماء ثم تصطدم بالجبل كقذيفة فتتحطم وتتناثر أشلاء.. ويحكم على كل من فيها بالموت.

- ماذا؟.. ولماذا يموت من استطاع النجاة يا رجل؟

- هذا أمـر حتـمى يا مؤمن.. هل تريد بعـد كل تلك الحوادث أن يبقى أحد على قيد الحياة؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وماذا أيضًا يا أخى؟

- لا شىء.. إنه فـخ لكل من لا يعـــرف الـطرق فى المحيط.

- إذن إذن.. هل تصف لى أين مكانه فى المحـيط على وجه التحديد؟

- الله أعلم يا مـؤمن.. هـذا الأمـر يخص القـبـاطين وربابنة السفن.. فإذا أردت أن تعـرف مكانه فعليك بقبطان سفينتنا هذه.. وأعتقد أنه يعلم مكانه.

- أشكرك يا أخى.

قام مـؤمن ليســأل القبطان فحـدث هياج فى البــحر

وقامت عاصفة وانشغل الجميع فى حماية السفينة ومرت الفـرصة وعـاد إلى البـر من جـديد ولم يحـصل على المعلومـات المشبـعة . . لكـن هناك ما جـعله يشعـر أن مغامرة قريبة ستجعله وجها لوجه مع جبل المغناطيس.

فعـاد مرة أخرى إلى بلده ورأسه مـشغول بما سمـعه وأخذ يتـهيأ له مناظر للحـوادث التى تقع هناك فى هذا المكان البعيد وسط المحيط الكبـير . . يتخيل كيف تدخل سفينة فى مـجال الجاذبية المغناطيـسية . . فبعـدما كانت تتهادى متبخترة . . فجأة وبدون إنذار تتفكك من بعضها أو تنزلق فـوق الماء وهى تتقلب إلى أن تصطدم بالجـبل شر اصطدام.

وها هو يتحين الفـرصة عند زيارته لميناء الإسكندرية ذات مـرة بأن يسـأل أهلهـا عن هذا الجـبل حـيث إن

غالبيتهم يعملون بالصيد والإبحار.

ودخل أحد أسواق بيع السمك ثم توجه إلى تاجر كبير وسأله:

- سيدى.. بالله عليك.. ألا من يدلنى على جبل المغناطيس؟

لم يكد يسمع الرجل هذا السؤال حتى علت الدهشة ملامحه وأمسك مؤمن من كتفه وأشار له ناحية زقاق يؤدى إلى الساحل وهو يقول:

- يبدو أنك متطوع جديد.. السفينة على وشك الإقلاع.. هرول حتى تلحق بها قبل أن تغادر الميناء.

- أى سفينة سيدى؟

- ماذا . . ألست تسأل عن جبل المغناطيس؟

- بلى

- هناك قبطان مهووس بهـذا الجبل . . فتح باب التطوع لفك غمـوضه ولم يلتـحق بمركبـه إلا قلائل . . إذا أردت فاهرع نحـو الميناء واسأل عن مـركب القبطان برقوق . . أسرع يا ولدى .

وقف مـؤمن بـرهة حـائرًا . . لم يكن هـناك بد من الإسراع عسى أن تكون مغامرة جديدة .

وجرى مؤمن فى الزقاق وهو يرى البـحر على البعد فى نهـايته، فلمـا وصل إلى المرسى إذ بسفـينة تستـعد للإقـلاع . . فأخـذ يسرع نحـوها وينادى على البحـارة فسـمعه أحـدهم، وما هى إلا دقائق حـتى أصبح على

متنها وهى تبحر. . حدث كل ذلك دون استعداد منه. . وشعــر أنه يزج زجًا إلى هذه الرحلة، فـتوكل على الله وهيأ نفسه لها، ولما ذهبوا به إلى قمرة القبطان سأله:

- لست من الإسكندرية. . أليس كذلك؟

- بلى سيدى. . أنا من القاهرة. . اسمى مؤمن.

وقبل أن يكمل كلامـه دخل شاب عليه سيــما الثراء والترف فى مـلابسه وحركاته الـرقيقة وكـلامه الناعم، وبمجرد أن شاهد مؤمن صاح ينادى على أصحابه:

- فـوزى. . مراد. . جـميـل. . تعالوا. . انظروا مـاذا لدينا هنا؟

فوجئ مؤمن بثـلاثة آخرين يدخلون وهم يضحكون وعليهم أيضًا ثياب فاخرة وقـبعات ثمينة وحلىّ كالنساء

يتكلمون فى خلاعة ويضحكون بدون أسباب وفرحوا بمؤمن وأخذوا يتضاحكون:

- يا ربى.. هل سيأتى معنا هذا الغلام؟

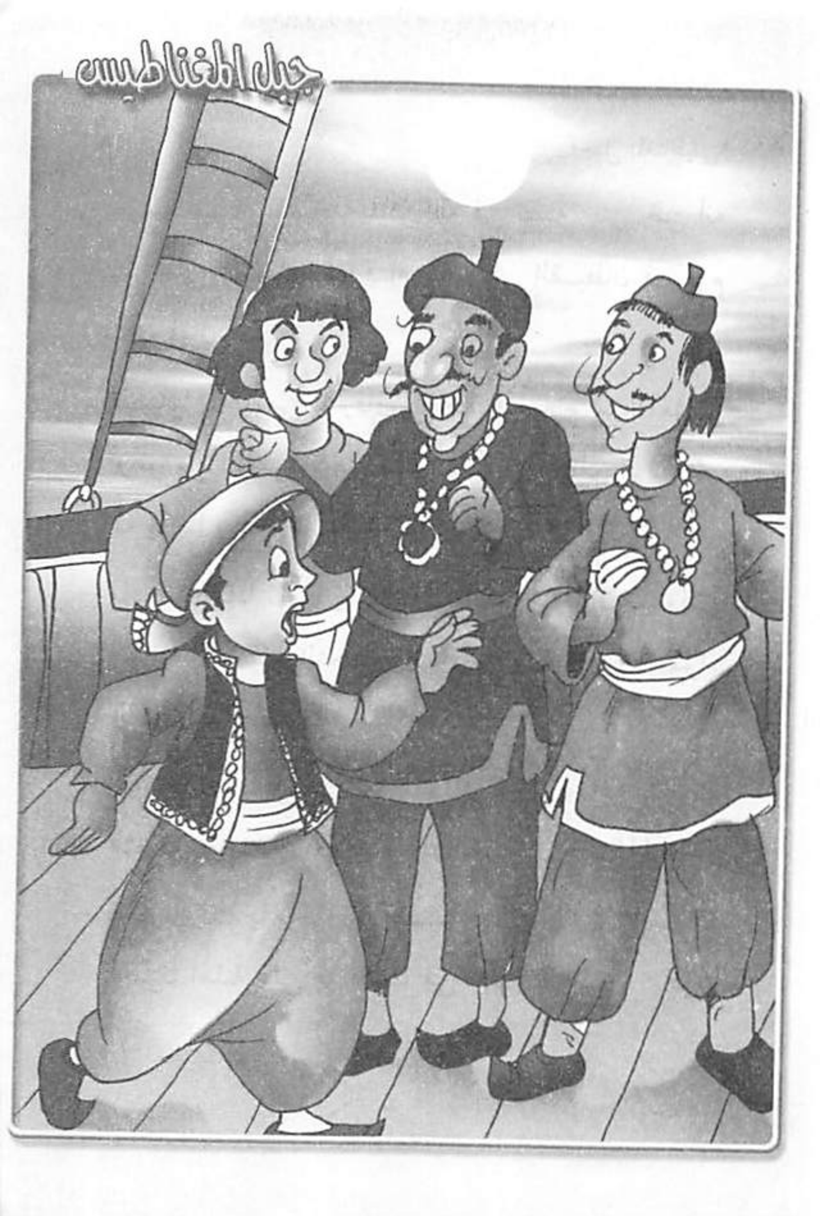
- يبدو كذلك..

- شىء رائع يا جميل..على الأقل سنجد من يخدمنا.

- ما اسمك يا فتى؟.. لماذا لا تتكلم؟.. هل تجيد الطبخ؟ أعرفك بنفسى: أنا مراد

- وأنا صافى.. قل لنا ما اسمك إذن..

أحس مؤمن بالغضب يكاد ينفجر منه.. وكاد أن يقف ويكيلهم وابلاً من السباب ورد الإهانة بمثلها.. لكنه تذكر أن كظم الغيظ والغضب صفة محمودة فى الإنسان المؤمن، وأن الحلم على مثل هؤلاء من شيم


جبل المغناطيس

الحكيم اللبيب.. فأخذ يذكر الله فى نفسه حتى ظن أنه يقدر على غضبه ثم قام ينظر إلى القبطان فى لوم وعتاب فقال لهم:

- تفضلوا بالجلوس يا رفاق.. هذا الغلام اسمه مؤمن وهو من القاهرة وجاء يشاركنا الرحلة كأى فرد منا، له ما لنا وعليه ما علينا.

- ماذا؟.. ماذا تقول يا برقوق.. هل تريد أن تساوينى أنا ابن كبير النحاسين بالإسكندرية.. أنا مراد العباسى، بغلام مثل هذا؟

- وأنا.. أنا جميل بن إبراهيم المرووشى، أكبر مماليك الثغر.. تريدنى أن أخدم هذا الغلام.. هذا؟!!

- ما كان لك يا برقوق أن يصدر عنك هذا ؟! أبعدما أجبرنا أهلنا على مرافقتك فى جنونك هذا.. يكون

مصـيرنا التحـقير. . هل تريد مـن صافى الكافى أن يتنازل لهذا الغلام الفقير. . أنا ابن شيخ التجار؟

أما فـوزى فكان مختلفًـا عن أصحابه فى أخـلاقه، وبدا أنه يتمتع بحس مرهف وعقل راجح ونظرة صائبة، فقد نهر زملاءه وقال:

- ما هذا؟. . ما الذى يدعوكم لهذا القول؟. . يبدو أن مؤمن أيضًا صاحب مكانة ومقام كريم. . وكان أولى بكم أن ترحبوا به وتقدمـوا له واجب الضيافة. . ثم هل نسيتم أننا هنا وحدنا على السفينة وأن البحارة قد غادروها بعد أن جهزوها للإقلاع.

فوجئ مؤمن بهـذه العبارة الأخيرة حـتى كاد معناها يحجب شعوره بالغضب، ثم نظر للقبطان بدهشة وقال له:

- سيدى القبطان.. ألا يوجد بحارة على السفينة؟!

- للأسف يا مؤمن يا ولدى.. للأسف.. لم يوافق أى من البحارة على الخروج معنا.. إنما جهزوا معى السفينة للإبحار ثم غادروها بعد ذلك فى قارب صغير.

- يا إلهى.. وكيف إذن تقوم سفينة بمغامرة بحرية وليس عليها بحارة؟

- أنا السبب يا مؤمن.. الناس لا يحبون الصراحة والصدق فيما يبدو.. لو كذبت عليهم وأوهمت البحارة بأنها رحلة تجارية عادية لخرجوا معى ثم ذهبت بهم إلى ما أشاء.. لكنى أخاف الله.. ولذلك أعلنت منذ شهر عن هذه الرحلة.. فلم يتقدم أحد.. والأسبوع الماضى فقط تقدم إلىّ هؤلاء

الأربعة الشجعان..

ضحك فوزى وقال:

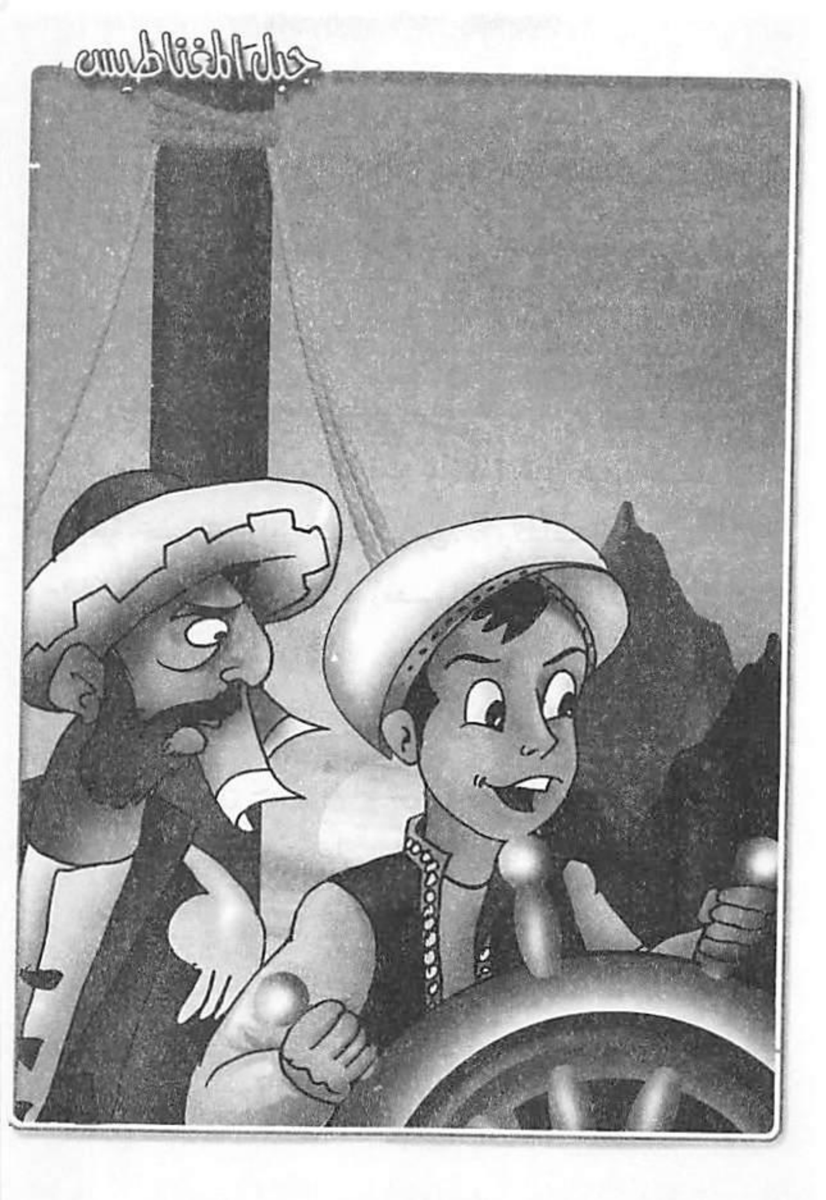
- الأربعة الشجعـان؟!.. لماذا لست صريحًا فى هذه يا برقوق.. قل الصراحة.. قل إن أهلـنا قد يئسوا منا ومن كسلنا وترفنا وقلة اعتمادنا على أنفسنا.. فزجوا بنا إلى هذه الرحـلة عـسى أن نرجع إليـهم رجـالاً أشداء أو نذهب إلى الأبد ضحية لضعفنا وترفنا.

حدثت مشادة كلامية بين الشبان الأربعة، على أثرها تركهم القبطـان وتبعه مؤمن إلى خارج القـمرة.. واتجه القبطان إلى الدفة وقال لمؤمن:

- هذه الدفة مـسئوليتك يا مـؤمن.. أنت فى عينى كبير والملح فى ملامحك قـدرات فائقة.. أما أنا فلسوف

أتولى بقية الأعمال عسى أن يساعدنى أحد هؤلاء الثرثارين.

ومضت الرحلة وتشاجر الأربعة مع القبطان، كل واحد منهم يريد أن يأخذ موقع مؤمن فى قيادة الدفة ظنًا منهم سهولة هذا العمل.. لكن القبطان رفض فاعتزلوا كل عمل وناموا على متن السفينة كسالى.. واضطر مؤمن إلى التنازل عن مكانه لأحدهم.. وظل هكذا يتنقل من عمل إلى آخر.. وأخذ كل واحد منهم يوكل إليه عمله الصعب.. فلم يجد بدًا من القيام بمجهود كبير حتى شعر بالمهانة.. ولولا أنه كان صبورًا ويدرك فى نفسه القدرة التى يحتذى بها لتصرف بشكل مختلف.. والمشكلة الأكبر أن موارد ومؤن السفينة من طعام وشراب من أصل مال الأربعة.. فهو إذن عليه


جبل المغناطيس

العمل مقابل الأكل والشرب، وهذا سبب لا يدفعه للتذمر وإنما للرضا بأن يبذل جهدًا فى وجود مقابل.. فهو العمل إذن وليس شيئًا آخر.

واستمر الحال على ذلك مدة طويلة.. وأظهر مهارة كبيرة فى التعامل مع المواقف المختلفة حتى شعر القبطان بقلة خبرته إزاء خبرة مؤمن.. وكذلك الآخرون، لكنهم إكباراً وإنكاراً، رفضوا الاعتراف بذلك، بل أمعنوا فى إنكاره.

وبالليل كانوا يجتمعون فى قمرة القبطان يتسامرون ويتساءلون عن جبل المغناطيس.. وكان برقوق يخبرهم أن الرحلة أصبحت على وشك الانتهاء وسألهم مؤمن ذات مرة:

- لم أعرف حتى الآن ما هو غرض زيارتكم للجبل.

قال مراد:

- قلنا لك من قـبل إنها رغـبـة آبائنا.. لكننا مع ذلك نريد أن ننجح فى هذه الرحلة مهما كانت النتائج.. نريد أن نثبت للجميع أننا نقدر على ما لم يقدر عليه الآخرون.

- ألم تفكروا إذن أن الخطر محـدق.. وأن المصير الذى حل بغيركم قد يحل بكم.

قال صافى:

- أتقصـد أن تتحطم سفينـتنا على الجبل.. لا تخف يا صـديقى الصغـيـر.. لا تخف.. سـوف نحمـيك وننقذك.

ضحك برقوق وقال:

- لقد حكى لى مـؤمن عن بعض مغامـراته.. وعرفت أنه أنقذ بلاداً وقرى بأكملـها، وأظن أنه ساعة الخطر لن يكون فى حـاجة لكم بـقدر مـا أنتم فى حاجـة إليه.

قال فوزى:

- ليس ذلك ما يشـغل بالنا يا مؤمن.. القـبطان برقوق مر بالجـبل عدة مـرات أثناء رحلاته وشاهـد السفن المحطمة لكنه يعرف كيف يتجنب الخطر.. ولنا نحن خطة أخـرى تماماً.. فـمـعنا قارب من الخـشب.. صنعه النجارون بدون مسامير حديدية..وهذا القارب سنستقله بإذن الله ونذهب للـجبل ونحصل منه على قطعـة تكون لنا برهان عند أهلنا ونثـبت بها قـدرتنا على تحمل الخطر والمسئولية مهما كان حجمها.

ابتسم مؤمن وقال لهم:

- إنه ليسعدنى أنكم على هذا الغرض السليم.. وأتمنى أن تبلغوا هذه المكانة.. أما أنا فرحلتى معكم استطلاعية وأرجو أن ينعم الله علينا بالسلامة حتى نرجع سالمين.

وهكذا مضت الرحلة بين ترقب وانتظار.. وأحس مؤمن بمسئوليته تجاه زملائه الأربعة.. وقرر أن يقابل إهانتهم بصدر رحب، فمن الخطأ أن يعاملهم نداً لندٍ ولم يبلغوا بعد خبرته ولا مقامه فى الحياة.. لكن ما كان يحيره هو كيفية التأثير على هؤلاء المتمردين وإفادتهم وتعليمهم.

وذات صباح كان نائمًا عندما أخذ برقوق يصيح من فوق السارى:

- يا رجـال.. يا رجـال.. لاح جـبل المغـناطيس فى الأفق. استيقظوا جميعًا وخرجوا، بعيون ممتلئة نومًا، فرأوه يقف فوق الســارى ممسكًا منظاره المكبر ويلوح به نحو الجبل:

- بعد قليل سينقشع الضباب وستتمكن من رؤيته بالعين المجردة.

هكذا قال مؤمن لمن معه.

وخفقت قلـوبهم جميعًا وزهدوا فـى الإفطار ووقفوا تحت السارية ينتظرون انقشاع الضبـاب قبيل الظهيرة فلم ينقشع، فأخذوا يلومون مؤمن على افتراضه فقال:

- مادام الأمر كذلك.. فإما أن نقترب أكثر من ذلك أو نبـتعـد تمامًا لاحـتمـال حدوث عـاصفـة عند الليل والاقتراب فيه موتنا.

وحدث جـدال شديد وثبت مـؤمن على رأيه. . أما القبطان برقوق فظل مع مؤمن على رأيه، ولكن الأربعة المدللين رفـضوا ذلك تمامًـا وجُن جنونهم وقرروا أخـذ رأى الأغلبيـة وهو بالطبع رأيهم وأن يقتـربوا من الجبل مسافة أخرى، فحذرهم برقوق من عاقبة ذلك.

وحدثت مـشادة، ورفض برقوق فى نهـاية الأمر أن يتحرك من مكانه بالسفينة مهما كانت العواقب. وقال:

- سنظل فى مكاننا. . أنا القبطان. . ويجب أن يطيعنى الجميع سنظـل هنا حتى تمر العاصفة بـسلام وينقشع الضباب ولو بقينا مكاننا عدة أيام.

ومر اليـوم الأول عليهم وقد انقـسموا على أنفـسهم إلى حزبين، وظنوا مع ذلك أن العاصـفة مجرد ظن لن يتحقق، وفى عشية الليلة الـثانية اجتمع الأربعة المدللين

وقرروا أن يفعلوا ما اجتمعت عليه عقولهم.

- الليلة سينام مؤمن والقبطان وستكون الحراسة لنا نحن الأربعة.

- كلام جميل.. فلنرفع المرساة ونفرد الشراع ونقترب لمسافة أخرى.. فإذا أصبح الصباح توقفنا.. ورأينا الجبل عيانًا ووضعنا برقوق ومؤمن أمام الأمر الواقع، ثم ننزل بالقارب الخشبى ونبحر إليه ونعود بالقطعة المغناطيسية لأهلنا وبلدنا.

- هذا رائع يا صافى.. جميل.. إذن لماذا ننتظر.. هيا يا إخوان نرفع المرساة ونفرد الشراع.

- سأذهب أنا وأمسك الدفة.. لكن كونوا على حذر، لا نريد إحداث صوت يوقظ مؤمنًا أو برقوقًا.

- هيا.. هيا بنا.

وفى ظلمة الليل البهيم لم يدرك أحد منهم أن مؤمن كان محقًا فى توقعه للعاصفة.. فها هى النذر تأتى من بعيد، وتجثم على المنطقة سحب داكنة وثقيلة زحفت بمكر تحت سير الظلام والليل. ولكنهم أجمعوا أمرهم ومكروا مكرًا غبيًا وتصرفوا بلا خبرة ولا حكمة.. ورفعوا المرساة وفرد الشراع وأخذت السفينة تتهادى، وحملتها الرياح بسرعة على موج أصبح يتمرد ويثور بسرعة لم يتوقعها أحد وصرخ مراد فيهم:

- افعلوا شيئًا. السفينة تجرى نحو الجبل.

قال صافى:

- ليس لدى أحد منا خبرة فى التحكم بسرعة السفينة يجب أن نوقظهما.. الأمر خطير

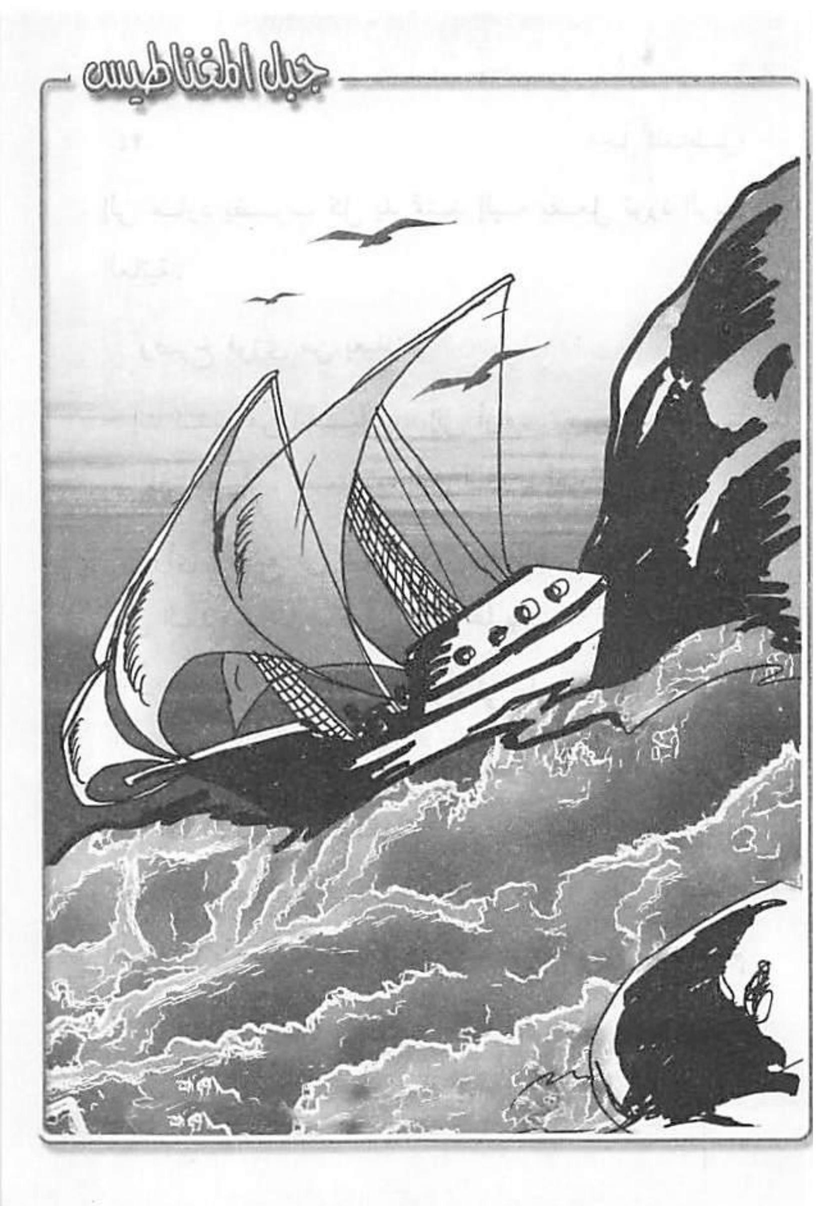
وضرب البـرق فى السمـاء ضربات مـخيـفة وطرق الرعد طرقـات مفزعـة وقام مؤمن لـيجد الريح تصـفر وتزمجر والسفينة تتمايل كأنها ريشة:

- يا إلهى.. ماذا يحدث هنا؟

وجرى إلى برقوق فأيقظه وخرجـا ليجدا السفينة فى صـراع من الموج، والأربعـة الآخرون يصـرخـون وكل واحد فيهم متشبث بحبل أو سارية، فجرى مؤمن وألقى المرساة وجرى برقوق ليطوى الشراع:

- ماذا فعلتم أيها الأغبياء..

وهاج البحر هوجة لم يرهـا مؤمن من قبل، وذكرته بمغامـرات سابقة، وتوقع الخـطر والموت فجرى يسـاعد برقوق فى طى الشراع الذى كان يأبى الانصـياع متحولاً


جبل المغناطيس

إلى مــارد يضــرب كل يد تمتــد إليــه بفــعل ثورة الريح العاتية.

وصرخ فوزى من بعيد:

- إننا نـدنو من الجـــبل.. إنى أراه.. ســـيـــجـــذبنا المغناطيس.. سنموت، أين أنت يا أمى؟

ورأى الجميع فى ضــوء البرق الخاطف جبــلاً عظيمًا على البعد، وأخذ برقوق ينادى عليهم:

- تعالوا أيها الجبناء ساعدونا فى طى الشراع.

وعلا الموج إلى السماء وظل يضرب السفينة ويغمرها ولم تجد المرساة فى حفظهــا.. وظلت تندفع نحو الجبل كأنها مقذوفة.. وحــاول مؤمن وبرقوق، بكل قوتهما، أن يتعلقا بأحبال السارية، وتوقعــا لمن معهما أن يبتلعهم

البحر.. ولم يعد أحد يرى أحـداً، فالسيادة هنا ليست للإنسان.. بل للطبيعة القاسية.

وكـان مؤمن فى خـصم هذا الموقف الـسيئ يحـاول تركيـز ذهنه فى الكارثة التى ستلم بهم بعـد قليل عندما تصطدم السفـينة بالجزيرة. لكن حدث شيء مـخيف.. أصوات جـديدة تضاف إلـى صخب العـاصفة.. إنـها أصوات تحطـم ألواح السفـينة.. وجاء صـوت أحدهم يصرخ قائلاً:

- المغناطيس يجذبنا.. السـفينة تتفكك من بعـضها..

كان مـؤمن متشـبثـاً بحلقة حديدية ويـحمل سيـفه الحديدى، ولم يشعر بأنها تنجـذب كما يعتقد. لكن ما بـال السفـينة تتحطم.. وأصـوات تحطمهـا تنذر بالموت المحقق.

وظلوا هكذا يصارعون الموت إلى الفجر.. حتى حدثت الكارثة المتوقعة واصطدم ما بقى منها بقوة بالجبل، فى حادث مروع.. وكانت هذه النهاية كافية للعاصفة حتى تشبع غرورها وترحل تمامًا وتترك للشمس فرصة حتى تطلع على الحطام الذى أضيف إلى حطام سابق لسفن كثيرة وقعت فى نفس الفخ المميت.

لقد تناثرت السفينة على الشاطئ الصخرى الحجرى للجزيرة.. جزيرة الجبل الأسود العملاق الذى يتحدى الجميع وسط المحيط بلا رادع.

كان صافى أول من رفع رأسه من بين الجميع وقام يبحث عن زملائه حتى نجح فى العثور على فوزى ومراد وجميل، كانت جراحهم بالغة فأخذوا يداوون أنفسهم

ويربطون الجراح بالخرق وقاموا يبحثون عن مؤمن وبرقوق.. فلم يجدوا لهما أثرًا.. وانتصف النهار وهم على ذلك الحال:

- سنمـــوت يا إخوانـي فى هذه الجزيرة المعلونة.. سنموت.

- يبدو أن مؤمن قد غرق هو وبرقوق.. ماذا سنفعل بدونهما؟.. نحن لا نعرف أى شىء عن أى شىء.

- إخوانى.. ألا تلاحظون شيئًا غريبًا؟

- ما هو؟

- نحن نقف تحت جبل المغناطيس تمامًا.. ولم يجذب هذا الحديد المتخلف عن السفن.. والملقى هنا تحت أقدامنا.

- يا إلهى.. هذه حقيقة.. كيف يجذب الجبل السفن من عرض البحر ولا يجذب الحديد الذى يرقد تحته؟

حمل جميل حلقة حديدية وقذفها نحو الجبل فسقطت دون أن تنجذب له..

وأدرك الجميع أن حكاية جبل المغناطيس ما هى إلا وهم عاش فيه الناس دهوراً طويلة.. لكن ما سر تحطم السفن عند هذا الجبل بالذات.. أهى لعنة أم ماذا؟

لم يشغلهم الأمر بقدر ما أصبح يشغلهم أمر حياتهم التى أصبحت فى خطر.. لم يتعود أحدهم على المشقة وتحمل الجوع والعرى.. وأخذوا يبكون.. وكلما دنا الليل إرتجفت قلوبهم وأيقنوا بالهلاك.

- ماذا؟.. هل نقعد ننتظر الموت؟!

- وماذا فى أيدينا يا أخى.. ماذا نملك فى هذه الجزيرة المقفرة.. لو كانت فيها شجرة واحدة لأكلنا من ورقها.. إذن فلا نقعد.. هيا بنا نبحث فيها عسى أن ينقذنا الله.

وقاموا يسيرون وعيونهم تستجدى الأفق أن يبزغ عن سفينة تنقذهم.. فلم يرتد إليهم البصر إلا بالحسرة وخيبة الأمل.. فأى سفينة تلك التى تغامر بالاقتراب من هذه الجزيرة المنحوسة.

وبينما هم يرتقون صخرة إذ بصوت أنين يأتى من جوف كهف على حافة الماء.. فأصابهم الخوف ثم تشجعوا وتقدموا.. وفوجئوا أنه مؤمن ففرحوا فرحًا شديدًا وأخرجوه من الكهف بعدما رفعوا من فوقه كتلة

خشبية كانت تعوقه عن الحركة.

- الحمـد لله.. كادت هذه الكتلة أن تحـطم صدرى..
الحـمـد لله.. لقـد نجـاكم الله بعـد أن ظننت أنكم مغرقون.

- ألا تعرف مكان القبطان برقوق.

- ظننت أنه معكم.. آخـر مرة رأيته فيهـا كان يصارع الموج متشبثًا بلوح خشبى.

لم يعـثـروا على برقـوق وعـادوا إلى مكانهم الأول خائبين.. وعندما أرادوا معرفة ما يدور برأس مؤمن قال لهم:

- كـان درسًا قـاسـيًـا الذى تعلمـتمـوه.. ويا ليـتكم تعلمتموه حقًا.

- ماذا تقصد يا مؤمن؟

- أقصد.. أن ما حدث لنا أنتم السبب فيه.. عدم طاعتكم لأوامر برقوق ونصائحى.. وتشبثكم برأيكم ورعونتكم وخيانتكم لنا بالليل وإطلاق العنان للسفينة.. أنتم السبب فى هذه الكارثة.. وإذا أردتم أن تتعلموا وتعملوا للخروج مما نحن فيه فعليكم تنصيبى أميرًا عليكم حتى نرجع إلى بلادنا سالمين. وإذا أبيتم.. فأنتم من طريق وأنا من طريق.

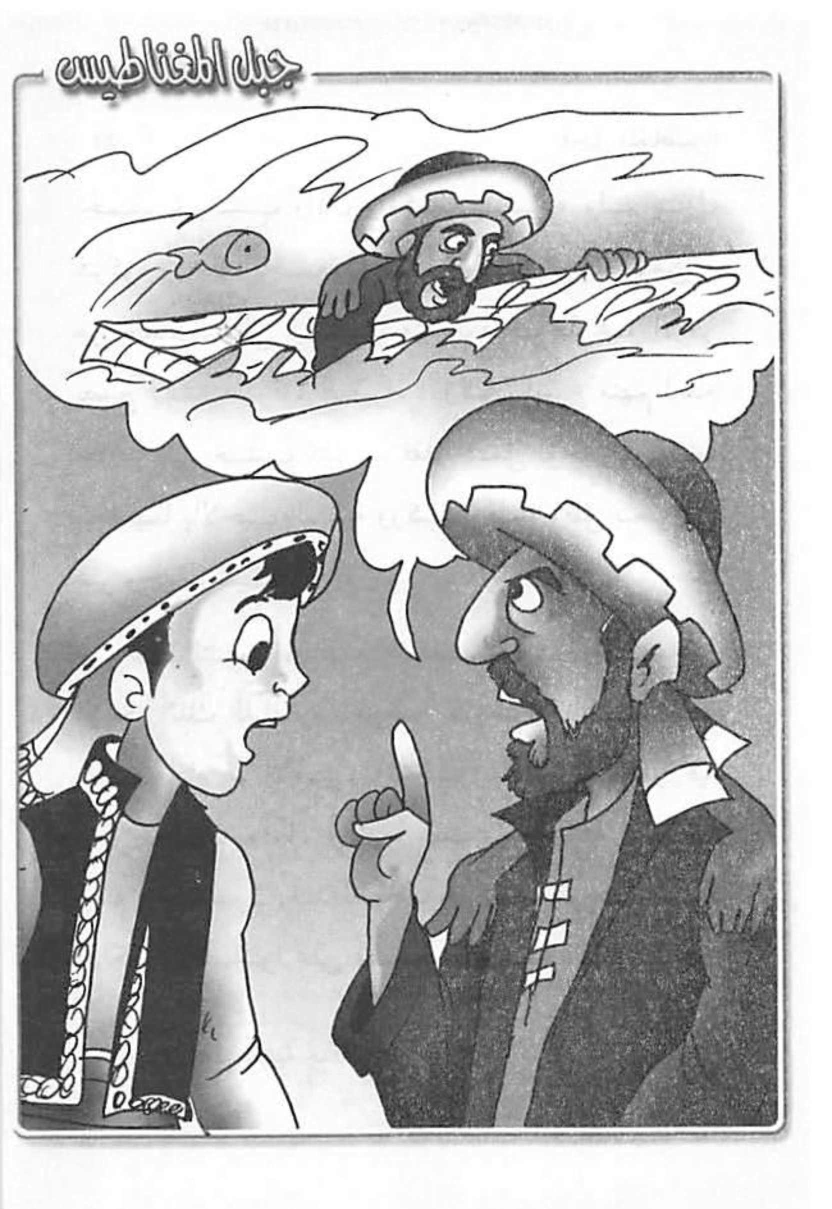
- ماذا.. ماذا يقول هذا الغلام.. هل ترضون بهذا الهوان؟

- أنا غير موافق على ذلك.. كيف لأجير على سفينتنا أن يقودنا؟

قال فوزى:

- يا إخوان.. ما لكم.. إنهـا الحقيقـة.. مؤمن أفضل منا والطريق أخبـرنا بذلك.. وكلـنا يدرك أنه على دراية بالرحلات والمغامرات ولـه تصرفات عديدة فى مثـل هذه الأمور.. يجب أن ننسى حـالنا الذى كنا عليه فى الإسكندريـة.. أين أموالنا الآن؟ أين آباؤنا ودنلنيـرنا ومـتـاعنا؟ نحن الآن.. لا شىء.. وهذا الغلام أفضلنا علمًا وحكمة.. وكلكم يعلم ذلك.. فدعـوا الكبر والغرور ولنسـتسلم للأمـر الواقع حتى ننجو

ووافقوا بعد لأى وجدال، على مضض، إلا واحدًا، هو صـافى، فقـد سـيطر عليـه كبـره ورفض أن يذعن للآخـرين، وجن جنونـه ولم يتـمكن من خلع عـبـاءة


جبل المغناطيس

الحسب والنسب والمال والمكانة والمقام، ولم يتنازل فتركوه ورحلوا يجمعون خشبًا - كما أمرهم مؤمن - من حطام السفن ليصنعوا منه طوفًا فأخذ هو الآخر يصنع لنفسه طوقًا، صغيرًا.. وكان أسرع منهم لعدم حاجته إلى خشب كثير.. فقد حمل لوحين وربطهما ببعضهما بالأحبال البالية وركب فوقهما وظل يبحر إلى غير وجهة وشيطانه لا يلين.

وعنها انتهوا من صنع طوقهم الكبير رفض مؤمن الإبحار تلك الليلة ولما اعترضوا ذكرهم بأن عليهم طاعة أوامره مادام هو الأمير، وانتخبوا مكانا وتقوقعوا فيه يلفئ بعضهم بعضًا، وعندما هبت رياح عاتية.. عرفوا وهم يرتعشون بُعد نظر مؤمن وأنهم لو عارضوه لهلكوا، وتأسفوا على مصير صاحبهم الذى شذ عن

الجـماعـة، وفى منتـصف الليل قام يـدعوهم للرحـيل فضجوا واعترضوا وهم يرتعدون:

- ما هذا يا مؤمن.. ألا ننتظر الصباح.. للنور.

- علىّ تحمل مسـئوليتكم وقد سلمتـموها لى فلا يكون عليكم غير السمع والطاعة.. فلو كان فيكم صاحب علم لأقنعكم.. لكن لا وقت لدينا للمناقشة.. هيا بنا.

وركبوا الطوق الخشبى، وأخذوا يجدفون وقد أنهكهم الجوع والعطش والبرد والإرهاق.. كـانت الريح مواتية والبـحر هادئ، فظـن جمـيل أن ذلك مـا دعا مـؤمن للإبحار فى هذا التوقيت ولكن شيئًـا ما كان يؤرقه أكثر من ذلك.

- انظر يا جميـل إلى النجوم هى دليلنا.. ولأننى على

علم بمواقعها ومنها أعرف اتجاهنا فى هذا المحيط الكبير فقد آثرت أن ننتهز الفرصة وإلا انتظرنا فى الجزيرة لمساء الغد.. وهناك أشياء أخرى مهمة.. يبدو أن هذه المنطقة لا تهدأ فيها العواصف والأعاصير.. ولقد عرفت أن العواصف تتكاتف مع شعاب مرجانية خطيرة تحتنا فى تحطيم السفن ودفعها بتيارات سريعة وعاتية نحو الجزيرة التى أطلق الناس عليها - إشاعة - جبل المغناطيس.

- وماذا أيضًا يا مؤمن.

- أشياء كثيرة ستعرفها فى حينها.. فلندع الكلام الآن لأنه يستنفذ طاقتنا، ونحن فى حاجة ماسة لتوفيرها.. فأمامنا طريق طويل.. ولن أخبركم عن وجهتنا حتى نصل إليها بسلامة الله.

نظر ثلاثتهم لمؤمن نظرة إكبار لأول مرة.. وأيقنوا أنهم ما أخطأوا فى انتخابه قائدًا عليهم.. كما شعروا بالأمان تحت قيادة شخص حكيم يحسب لكل شىء حسابه ويخطط ويتخذ القرارات بهدوء وترو، وقد نحى العاطفة والهوى جانبًا.. فزاد ذلك من إيمانهم به قائدًا ويقينهم بالنجاة فأحسوا بالراحة.

وبعد ساعة قال لهم:

- ها قد اقتربت جزيرة أخرى.. هى وجهتنا.. والحمد لله أننا وصلناها بالليل فأعتقد أن وحوشًا آدمية تسكنها.. فعلينا التحوط لذلك.

كل تلك العوامل فكر فيها هذا القائد الصغير وعمل حسابها.. وعندما حط بهم الطوق على رمال الشاطئ فوجئوا فى ضوء القمر بطوق صافى ملقى على الرمال

ففرحوا بوصوله لكنهم توقعوا أنه قد وصل فارغًا بفضل الموج والمد وأن صافى قد غرق فى عرض المحيط.. أما مؤمن فقال:

- صافى على هذه الجزيرة.. إنه هنا.. هناك آثار أقدام كثيرة، وهذا معناه أنهم اختطفوه من عرض البحر أو من على الشاطئ.. يجب أن نبحث عنه.. جدوا يا إخوانى فى تتبع هذه الآثار.. أخذوا يجدون فى السير فى مدقات الجزيرة التى تعج بالأشجار المثمرة.. وأخذوا وهم يهرولون يقطفون الثمار ويأكلونها، فعاد إليهم نشاطهم ودبت فى أجسادهم الحرارة وتحمسوا للعمل الجاد. وبعد مشوار طويل أشرفوا من قمة تل على قرية، ورأوا صافيًا معلقًا من يديه ورجليه فى وتد يصرخ، بينما كان بعض الرجال يجهز تحته حزمة من

الحطب وقد التف حوله رجال القرية يغنون ويرقصون:

- سيشوون صافى يا مؤمن؟

- جاء وقت العمل الصعب يا رجال.. فليحضر كل واحد منكم غصنًا طويلاً.. أخذ مؤمن بسيفه يشحذ طرف كل غصن فجعله مدببًا وأعطاه لصاحبه وقال لهم:

- هذا هو سلاحكم. سنهجم عليهم كالسيل من هنا.. سأقطع بالسيف الحبل الذى رُبط به صافى، فإذا وجدتمونى أجرى به فدعوا القتال واتبعونى.

لم يكن هناك وقت للتردد أو التروى.. صرخ مؤمن وجرى يهبط التل وفوجئ الناس برجال يقاتلون فأصابهم ذلك بالشلل ولم يدر أحدهم ماذا يفعل..

عندمـا قطع مؤمن الحـبل وحرر صـافيًـا قال له: اجـر واتبعنى يا صافى.

لم يدُر قتالُ بالمعنى المفهوم.. لقـد كانت مفاجأة.. وعندما تنبه القـوم فيها كان الأربعة ينطلقـون فى أعماق الغابـة فطاردوهم مطاردة شرسـة.. أخذ مؤمـن يجرى والأربعة وراءه.. كان يتصـرف كأنه على دراية بالجزيرة أو كأنه عاش فـيها من قبل ردحًـا من الزمن.. وعادوا من جديد يندفـعون نحـو الشاطئ، وأشار مـؤمن نحو قوارب لأهل الجزيرة فـانطلقوا نحوها ثم ألقـوا أنفسهم فى أحدهـا وأعملوا المجاديـف فى الماء.. وبعد سـاعة عادوا من جديد يبحرون فى محـيط كبير لا نهاية له.. فلما اطمأنوا وأمنوا غلبهـم النعاس فناموا وتركوا للريح قيادة القـارب.. ولما طلع النهار فوجئـوا أن قاربهم قد رسى بهم مـرة أخرى عند جزيرة الجـبل الأسود فـأخذ

الأربعة يلعنون حظهم السيئ ولكن مؤمن قال:

- هذه أغرب أسرار الجزيرة.. إن وضع تيارات الماء في هذا المكان عجيبة.. وإني لأندهش لكيفية إبحارنا بالأمس منها.. لكن ذلك يدل على حدوث هدوء في هذه الظاهرة في وقت ما. لم تكن هذه التحليلات ذات قيمة عند أصحابه وهم يواجهون خوفًا شديدًا ويتعجبون من هدوء أعصابه وثقته في شيء لا يعرفونه وصاح به أحدهم وقد نفد صبره:

- ما العمل يا مؤمن.. ما العمل؟ هل سنموت هنا؟

أشار مؤمن بسبابته نحو السماء وقال:

- مادام الله موجود فلماذا نخاف؟ لو كتب لنا الموت في القصور لمتنا.. ولو كتب لنا العيش في القفار لعشنا..

وهنا خــرج صافى عن صــمتــه الذى لزمه من بعــد إنقاذه وقال:

- شكرًا لك يا مــؤمن.. لقــد تعلمــت منك دروسًــا كثــيرة.. وأعاهدك أنى مــعك.. ولن ينالنى خوف بعد الآن مادمت معى.

- بل لا خوف ولا قــلق مادام الله معنــا.. إخوانى.. أظن أننا سنبقى فى هذه الجزيرة فترة من الزمن حتى نجد وسيلة تعيدنا إلى ديارنا ولا يعقل أن نجلس هكذا بلا تدابير للمعيشة، هيا.. كل واحد يؤدى دوره.. صافى سيــصنع شهبًا ويصيد لنا السـمك.. وجميل ومــراد يبحــثان عن مــكان آمن يأوينا.. أما فــوزى فــيــبــحث لنا عن الماء.. وأنا علىّ جــمع الحطب وإشعال النار لشى السمك.. هيا يا رجال.

قاموا متكاسلين.. ثم اتجه كل واحدٍ إلى عمله واليأس يحلق فوق رؤوسهم.. ولكن بعد فترة انهمك كل واحدٍ فى عمله ونسوا لبعض الوقت هموم الموقف العصيب، وعاد صافى يحمل سمكة كبيرة كان فرحًا بها وأخذ يزهو وهو ينادى على الباقين.. وكان مراد وجميل قد عثرا على كهف نظيف وآمن فأخذا يعدانه، ويناديان على الباقين، وذهب مؤمن إليهما وكذا صافى بالسمك والحطب.. وغاب فوزى فترة طويلة ثم سمعوا صراخه من بعيد يصيح.. وجدت الماء.. توجد عين ماء عذب فتركوا ما كان بأيديهم وجروا نحوه وأخذوا يعبون من الماء ويشربون بعد عطش طويل.. ثم عادوا جميعًا للكهف وأشعلوا النار وأنضج مؤمن السمكة ثم جلسوا يأكلون بنهم شديد، وتبدل الخوف بعد الشبع

إلى أمن، وتعالت الضحكات وتبودلت النكات والنوادر.

ومر اليوم تلو اليوم وهم على تلك الحال.. ورأى مؤمن تلاميذه وهم يتغيرون.. أصبحوا في متعة الحياة الخلوية رجالاً أشداء، يجمعون الحطب ويصيدون السمك ويقتلون الهوام.. ويتحملون الجوع وينامون بالعراء ويسخرون من الأخطار.. ومر أكثر من أسبوع وقد تعودوا على الحياة البرية ونسوا الترف والثراء وأخشوشنت راحاتهم وبرزت من المفاصل عضلاتهم وغارت من انتفاخها بطونهم.. لكن إلى متى؟.. ولما شعر مؤمن بأن مهمته قد نجحت رفع بصره إلى السماء داعيًا الله أن يأتيه بالفرج، ولم يصدق نفسه ومراد يأتي من أعلى الجبل يصيح؛ هناك سفينة تقف على البعد.

كانت المفـاجأة عظيمة.. جـروا جميعًـا إلى القارب واجتهدوا وأنهكوا وهم يجدفون عكس التيار الشديد.. حـتى نجحـوا فى آخـر الأمر أن يصلوا إلـى السفـينة، وفوجئوا مفاجأة أخرى أشد سرورًا.. فالسفينة تنتظرهم هم.. وعليها يقف برقوق يلوح لهم وينادى عليهم:

- القبطان برقوق؟!.. الحمد لله.. الحمد لله..

- من أين أتى بهذه السفينة؟

- أرسله الله بهـا لينـقـذنا من مـحنتنا.. اشـتـدوا يارجـال.. وصـعدوا إلى مـتن السفـينة وتعـانقـوا.. وأبحرت بهم السفينة على الفور فى طريق العودة.

- يا لها من رحـلة عجيـبة؟.. ولكن كـيف نجوت يابرقوق؟.. ومن أين أتيت بهذه السفينة؟

- ياه.. إنها حكاية أغرب من الخيال يا مؤمن.. تعرف أننى تعلقت بخشبة.. أخذ الموج يقذفها بى من مكان لآخر.. تخيل أننى نمت فوقها من شدة الإعياء.. فلما استيقظت وجدتنى قريبًا من جزيرة تقف على شاطئها هذه السفينة.. فأخذت أجدف بذراعىّ حتى وصلت إليها فسمعت على الشاطئ صراخًا وصياحًا فاختبأت وراء السفينة وجعلت أنظر إلى قبلة كأنهم قطيع من النمل يحملون أربعة من البحارة وقبطانًا عرفته من ملابسه ولحيته.. كان رجلاً فاسداً يتاجر فى المخدرات والمكيفات بسفينته.. ورأيت هؤلاء القوم قد أعدوا ناراً كبيرة ثم وضعوا فيها القبطان وبحارته بعد أن قتلوهم.. فأحسست بالخوف ولم أبرح مكانى وأنا أتجمد من البرد.. وبقيت مكانى أشاهد أكلة لحوم البشر

وهم يأكلون فريستهم بنهم شديد.. وبقيت لليوم التالى فقـاموا من بعـد نومهم وغـادروا المكان وتركـوا رجلاً لحراسة السـفينة.. كنت ضعيـفًا لا أقدر على شىء.. لكن ها هى الفرصـة مواتية.. فسبـحت حتى خرجت من الماء ثم ضـربته بـحجـر فأغـشى عليـه ثم تسلقت السفينة وفردت الشـراع ورفعت المرساة وأقلعت بها وأنا لا أصدق نفسى ووجدت فى مخـزنها الكثير من الطعام والشراب، كمـا عثرت على شحنة كبـيرة من المخدرات كان ينوى القبطان بيعها فألقيتها كلها فى الماء.. وظللت أبحث عنكم حـتى هدانى الله مـرة أخرى للجـزيرة.. فوقفت لا أتمكـن من الاقتراب خشيـة أن تتكرر الحادثة وتتحطم السفينة.. وكنت أدعو الله أن يرانى أحدكم.. والحـمد لله.. الحـمـد لله أنكم جمـيعًا عـلى بخيـر

وعافية.. وأنتم ماذا حدث لكم؟.. قص مؤمن الحكاية على برقوق وفرحوا جميعًا بالسلامة.. وكانت رحلة العودة مبهرة لبرقوق:

- مؤمن.. ما الذى حدث لهؤلاء الرجال؟

- ماذا ترى؟

- أرى شيئًا عجيبًا.. كيف تبدل هؤلاء من الدلال والترف إلى القوة والجلد.. كانوا مرفهين ناعمين، والآن أراهم أشداء مثابرين.. انظر كيف يقوم كل واحد بعمله.. لا أصدق أنهم الآن يسكبون الماء ويغسلون متن السفينة بالصابون.. أهؤلاء الذين كانوا معنا فى رحلة الذهاب.

- هم بأعينهم يا برقوق.. انظر ماذا تفعل المغامرات بالإنسان.. ماذا يعنى الخطر وتحمل المسئولية ومواجهة

الصعـاب.. إن الرحلة قد آتـت ثمارها.. لقـد عادوا رجالاً بعد أن كانوا أطفالاً مدللين.. كما أنهم برحلتهم تلك قـد حـولوا أسطورة جـبل المغناطيس إلى مـجـرد خرافة.

- خرافة؟

- نعم.. لا يوجـد شيء اسمه جـبل المغناطيس.. إنها جزيرة تقع في مجال جذب تيار مائي شديد وتحفها الشعاب المرجانيـة من كل مكان، وهذا سر تحطم السفن عندها.. لقد حمل صافي قطعة من صخرة الجبل ليثبت ذلك للناس.

- رائع.. إنها حقًا رحلة مفيدة.

- الحمد لله.. ماذا بقي لنا حتى ميناء الإسكندرية؟

لقد اقتربنا يا مؤمن.. اقتربنا كثيراً.

وهكذا.. عادت السفينة.. ونزل الرجال الأربعة فلم يعرفهم أحد من تغير ملامحهم ورث ثيابهم.. فلما دخلوا على أهليهم فرحوا بهم وفخروا بهم وحمد كل والد ربه على ما أنعم به على ولده من نعمة عظيمة.. نعمة الرجولة والجد وتحمل المسئولية.. وأقيم بهذه المناسبة حفل كبير.. وحصل مؤمن على هدايا كثيرة وكذا برقوق. لكن أهم هدية كانت الجوهرة التى عليه أن يضيفها للتاج الأثرى العتيق. ثم طار عائداً إلى أمه وبيته.

تمت بحمد الله تعالى

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣